[redacted]

الفصل الثاني عشر

" كوم الطَّمَّاع ٌقُلَيْل "

إذ طُلِبَ من مرسي، وجماعة الإخوان تشكيل حكومة قادرة مستقلة، واختيار نائب عام جديد، وبأيديهم السلطة التنفيذية والتشريعية أَبَوْا، إلا والسلطة القضائية، والجيش، والشرطة والأزهر؛ فاشتعلت الأحداث مجدّدًا ضدهم أمس الأول/ ٢٦ أبريل٢٠١٣ محيط قصر الاتحادية، وعدد من المناطق بالقاهرة بعد فترة خمول دامت ثلاثة أشهر؛ ودشّن ٦ أبريل حملة لجمع عشرة ملايين توقيع للتبكير بانتخابات رئاسية، وَشَنَّ عدد من السياسيين وفقهاء القانون هجومًا حادًّا على قيادات الإخوان إثْرِ تسريب نص مكالمات بين قيادات الجماعة وحركة حماس، تكشف عن دورٍ لهم في إحداث الفوضى إبّان ٢٥ يناير ٢٠١١ وقال الفقيه الدستوري شوقي السيد:

- نَصُّ المكالمات التي تم تسريبها هو دليل إدانة لا يقبل الشك على أن جماعة الإخوان ليست وطنية، ولا تهتم بصالح الوطن، وتنظر إلى مصالحها فقط، والحوار الذي دار بين أحد قيادات الإخوان وعضو حركة حماس يؤكد أن الجماعة استخدمت الحركة لإحداث فوضى مُتَعَمَّدة في البلاد، وانفلات أمْنِي مُدبَّر؛ للسيطرة على البلاد، والتمكين من مؤسسات الدولة، وأن تهمة الخيانة العظمى يجب أن توجه إلى قيادات الإخوان،

لأنهم استعانوا بدولة أجنبية على حساب أمن الوطن، وفيما يضر بمصالحه.

وقال محامٍ وبرلماني سابق:

- التسريبات عن الاتصالات بَيْنَ الإخوان وحماس، تؤكد ما سبق أن صرحت به لهيئة المحكمة في قضية اختطاف الضباط الثلاثة؛ أن حماس وراء عملية الاختطاف، ومتورطة في أحداث رفح، وقتل الشهداء أثناء الثورة؛ ومتورطة في فتح السجون؛ واقتحام أقسام الشرطة؛ المكالمات تدعمها تصريحات فلان. القيادي الإخواني والذي قال:
- أن الجماعة موجودة في٨٠ دولة؛ وتدير ٨ دول؛ أي أن التنظيم العالمي للإخوان هو الذي يدير مصر الآن؛ وهي تصريحات تخالف القانون والدستور؛ وتؤكد أن الجماعة خطر على الأمن القومي المصري؛ وأن تهمة التخابر موجودة في قانون العقوبات؛ وتصل عقوبتها إلى الأشغال الشاقة المؤبدة؛ لو تم التخابر لصالح دولة صديقة؛ وتصل العقوبة إلى الإعدام؛ لو أن التخابر تم لصالح دولة معادية... المشكلة في وجود النائب العام الحالي الذي لم يحرّك أي دعوة قضائية ضد الإخوان.. فتحدث مجاهد لزوجته فيما يخصُّ النائب العام:
- هم مُسْتَميتُون في بقائه.. وأردف المحامي والبرلماني السابق؛ النائب العام الحالي منذ اليوم الأول لتوليه منصبه، وهو يعمل على حماية

الجماعة من العقوبات على الجرائم التي ترتكبها؛ النيابة قالت في معظم البلاغات التي قُدّمت ضد الجماعة:

- لا توجد شواهد على ارتكاب جرائم؛ ويجمد النائب العام البلاغات ضد الجماعة...

وشهد ميدان التحرير بالمنصورة أمس الأول حالة من السكون غير المعتاد في جمعة خَلت منها أي دعوات للتظاهر؛ ودار حوار بين التجمعات الشبابية حول الخطوات التصعيدية القادمة في أول مايو المقبل بمناسبة عيد العمال والملقب بيوم الغضب، وفضل البعض السفر إلى طنطا؛ للمشاركة في مليونية د. عكاشة بميدان السيد البدوي، وفي المساء تجمع العديد من المتظاهرين أمام مبنى المحافظة في وقفة احتجاجية صامتة تضامنًا مع القضاء؛ ونددوا بسوء الأحوال التي تمر بها البلاد مطالبين برحيل النظام، وسقوط حكم المرشد.

وفي ساعةٍ متأخرةٍ من الليل قام ملثمون بإلقاء زجاجات مولوتوف على مبنى المحافظة، تسبب في إشعال النار في عددٍ من المكيفات بالدور الأول أعلى مدخل " ٦ " وقام العشرات من الصبية المجهولين؛ بإلقاء الطوب والحجارة على المبنى؛ فتهشَّم بعض زجاج الواجهة؛ فتصدَّى لهم شباب الميدان وطاردوهم؛ وتدخل البعض لإطفاء الحريق..

وحتى تاريخه؛ لم يكن مجاهد وزوجته قد نزلا الميدان؛ اكتفيا فقط بمشاهدة الأحداث من التلفاز؛ حِزْبُ الكِنَبة، بالأمس تابعا رئيس الجمهورية

وهو يُثْنى على وزير الدفاع خلال افتتاح محور الفريق سعد الدين الشاذلي، وأعمال توسعة، وتطوير طريق القاهرة- السويس؛ وطريق جوزيف تيتو:

- يبدو لي أن الفريق أول السيسي؛ بالإضافة إلى تكوينه العسكري المتميز لديه تكوين هندسي متميز؛ تحدثت معه أول سبتمبر ٢٠١٢ حول ضرورة تنفيذ عدد من المشروعات الهندسية لتخفيف الاختناق المروري، فاستجاب على الفور، ومعه أولاده في القوات المسلحة بعدما أدركوا أهمية هذه الطرق والمحاور.

وفي ظُرْفٍ نافِذٍ لا يفوت المصريين؛ أخرجت جريدة الوطن في صفحتها الأولى في اليوم التالي؛ الجمعة ٣ مايو تعليقًا على الحدث بهذين العنوانين.. الصراع بين الجيش والإخوان يظهر في إيماءات "مرسي"..آخر تعليقات الرئيس"الحِتّة السّودا الضّيقة وسعتوها؟ ".

وَتَنَدَّرَ محررو الوطن على عبارة الرئيس"بصفتي القائد الأعلى"التي ترددت أكثر من مرة منذ حادث استشهاد جنود رفح؛ إلا أن العبارة لكثرة ترادها دون داعٍ، عكست احتدام الصراع بين الجيش والرئاسة؛ على عكس ما يريد الرئيس.

وفي ذات الصفحة قريبًا من العنوان السابق مشفوعًا بصورة كاملة؛ بهيئة وجيهة، أنيقة، رشيقة؛ لوزير الدفاع كان هذا العنوان..الجيش يتوعد: القبض على"أبو إسماعيل"والجماعات الإسلامية لن يستغرق عشر دقائق.

كان أبو إسماعيل قد هاجم كلمة السيسي في احتفال جامعة المستقبل بِعِيدِ تحرير سيناء؛ فقال أنه يؤدي دور الممثل العاطفي ليستجلب رضا الناس أن يعولوا على الجيش.. فتوعد مصدر عسكري بردٍ عمليٍّ كبير على"أبو إسماعيل" رئيس حزب الكرامة:

- قادرون على القبض على " أبي إسماعيل " والتصدي لأي جماعات مسلحة في أقل من عشر دقائق... نحن لسنا نائمين؛ ونعلم تمامًا كل شخصٍ يسعى لتسليح نفسه من أجل مواجهة القوات المسلحة، وندرك طبيعة، وخطورة الموقف تمامًا، وَعَلَى " أبي إسماعيل " أن ينظر لنفسه ليعرف من هو الممثل الذي يتاجر باسم الدين من أجل مصالح شخصية؟!

فأنبأ مجاهد لزوجته:

- الدولة تتفكك!.. فسألته بخصوص " أبي إسماعيل":
- لمَ لمْ يقبضوا عليه ؟! قال:
- لأنه يتكلم في حُبّ مرسي؛ ويعْتقدُ أن أنصاره يمنعونه؛ فعادت إلى نغمة:
- الواحد قرف من كل أصحاب اللحى الذين يتحدثون باسم الدين.. فآلمته العبارة؛ فهو ذو لحية يتحدث بخصوص الدين.. فَردَّ:
- لو اهتممتِ بمراجعة وِرْدكِ ما قلتِ ذلك.. فوقعت فيه:
- ما أنت بتراجع! ماذا عملت؟! اعمل أنت قبل أن تأمر غيرك أن يعمل؟.. فسألها مُخلصًا:

- وما هو الذي لا أعمل به ؟؟..فشاكست:

- ها نرجع ثانـــي؛ لهذا الموضوع؟! أَفْضل أن نسكت.. فواصل:

- راجعي أنتِ وردك واعملي؛ وما عليكِ بالذي لا يعمل!.. فعلمت أنه حَنِقَ عليها؛ قالت:

- أحسن؛ لا نُفتّح هذا الموضوع؟.. فتابع لعلها تُفْصِحُ؛ ولو للإدانة:

- وما هذا الموضوع الذي لا تريدين أن تُفتّحي فيه ؟.. فارْبَد وجهها:

- أنت عاوز تِتشاكل وخلاص ؟؟.. ولأنها أرادت أن تلمزه بما بات يقينًا عندها؛ أنه على علاقة غير سويّة بالصبيان.. قال:

- امرأة لا تستحْيا.. واختتم بدعائه الشديد؛ قاتلك الله ؟.. وكان إذا سمعها تُعَرّضُ بتلك التهمة الشيطانية؛ يتميّز من الغضب؛ ويتمنى من كُلّ قلبه لو قام بتسريحها!.. ومرات استطاع أن يصبر؛ ويأخذ في لوم نفسه لعلها شاهدت ما يمكن تأويله، فاستنبطت ما لا يطيق ذكره؟!.. ومرات مضي معها في مَحاجة هادئة؛ يبدأ بأخف التُّهمتين شناعة:

- تريدين أن تقولين أني، أعزك الله، ابتاع نسوان؟.. وأمام الابتسامة، والنبرة الهادئة تنْطلق:

- إي..

- طيب؛ اذكري لي واقعة تؤيد دعواك؛ فالدين النصيحة؟

- أنت عارف؛ والعارف لا يُعَرَّف.

- أقسم بالله؛ لا أعرف، وبحثت في تاريخي كله؛ منذ بلوغي الحلم حتى الآن فلم أجد ما يضيرني. فَتَصْمِتَ:

- تكلمي ؟.. فلا يحصل إلا على:

- بكرة يظهر المستخفي.. فيكظم غيظه:

- وحتى يظهر المستخفي؛ فيفضحني الله؛ عاملينِ بحُسْنِ الظّنّ؟

- أتهزأ.. احذر سوء عاقبة الاستهزاء؟ وتحنق.

- والله لا أهْزَأ؛ فقط أطالِبُكِ الالتزام في المعاملة بالظاهر.. وذات مرة صرَّحت بشيءٍ عندما اشتكى من النساء في الإدارة اللائي لا تقر ألسنتهن في أفواههن؛ الثرثرة عندهن كقَصْقصة الُّلبّ؟!

- أنت هـ تقل لي؟! قل هذا لغيري؛ أنا خابزاك وعاجناك.. أنت لو تركت جلسة النساء مُتَّ.. وكان إن تأخّر قليلًا عوده من درس النساء؛ طالعته شَزْرًا؛ ويُكلمها فلا ترد.. وحرّضها كثيرًا للحضور معه فتعرب:

- لا أحب سَمَاعِكَ.. ومرة صرّحت تؤكد:

- نعم؛ أنت تهوى قعدة النساء؛ بل تعشقهن.. فسألها:

- وأين النساء اللاتي أهوى قُعُودَهُنِّ؟!

- في الشُغُلِ؛ ما أنت طول النهار لا تقعد إلا في محيطهن.. فانفجر ضاحكً؛ فالأمر لا خلو من الطرافة!

- أهذه هي أصل الحكاية ؟؟٠ فقالت تستقْصِيه:

- كم رَجُل عندك في الإدارة؟

- الخلية النائمة ماهر مخيول؛ وعبد الحي؛ وعشرة نساء " فَبُهتت:

- ما شـاء الله؟!! ولِم لمْ تطلب رِجالا ؟!.. فتفكّه لها:

- أنت تقولين بقول من قال لأبيه يومًا؛ إذا أردتني الذهاب لأتعلم؛ فانظر لي مدرسة لا تدرس مادة الحساب؛ وكان قد تعرض لضربٍ شديدٍ من مدرس المادة فيضطرب عقله في حصتها؛ ولا يُحصّل منها شيئاً.. قال:

- لو طلبت رجالًا - والإدارات جميعًا أغلبها الآن نساء- وأنا ذو لحية لقالوا؛ إرهابي؟ واستُهْزِئ بي. فأجابت كذلك:

- بل أنت تطرب لهنَّ.. وأعيته معها الحيلة؛ فأسر إليهم في الإدارة؛ فأسرع ماهر مخيول في بشارة:

- هذا شيء مبهج يا مولانا؛ الزوجة تغار عليك؛ والمرأة الحسيسة أفضل من الباردة.. فابتسم لبساطة المنطق، واستحيت الزميلات؛ وأبدين موافقة صامتة؛ وتحت ثقل الهَمَّ؛ وكان النساء قد انصرفن؛ قذف بالشنيعة:

- فإن اتهمتَك بعلاقة غير سوية بالصبيان؟؟.. فبُهت الزميلين.. وقال مخيول في ارتباك:

- هنا فيه مشكلة يا مولانا.. وسأل عبد الحي عَجبًا:

- معقولة يا شيخ ؟!.. ولأنه تفوه بكلام يستقذره؛ أردف وقد أجهش إلى البكاء:

- المصيبة؛ أني خال جدٌ لهؤلاء الصبية جميعًا؛ فهم أولاد بنات أخواتي الثلاثة.. فتابع عبد الحي يتهته:

- نحن نحتمل من النساء الكثير الطائش؛ إلا أن ما قيل؛ لو قيل لغيرك ما قنيها؛ يُحمد لفضيلتك صبرك هذا. فرنا إلى الزميل في ودٍّ بالغ؛ لأنه يفهم عنصره.

* * *

امسك إخواني؟..

تنادى بها غلامٌ وجرى ليقطع الطريق ليمسك بعضده، بيد أنه لطبيعة مجاهد الجادة؛ أنزل الهزل الصبياني منزل الفَصْلِ؛ فثَبُتَ في مكانه يتصدى؛ وابتدر الغلام على الفور لمّا أقْبلَ:

- ماذا يا ولد؟؟.. ولحظ أن والد الغلام عن بعد يرقبهما، ولم يتدخل فَتجاهله، وعَنَّفَ ابنه؛ وأمام الصَّرامة انقلب الغلام يتزلَّف:

- أأنت إخوان؟!

- لا، لست إخوانًا؛ وخفف من حدته.. فدُهش الغلام؛ فعاد يردد:

- لست أخوانًا؟!

- .. ولا أحب الإخوان..فَتَحرَّى الغلام كذلك:

- يعني؛ أنت لم تنتخب مرسي؟!.

- لا، انتخبت شفيق.. فأردف الغلام:

- انتخبت شفيق ولم تنتخب مرسي؛ وأنت مرَبّي ذقنك ؟!.. ورَنَا عَجِبًا للحية الكبيرة؛ فأفاض كعادته إذا شاهد خطأً يحدث الغلام:

- أولًا؛ هذه لِحْية وليست ذقنًا؛ الذقن هذه، وتناول ذقن الصبي الجُرداء يهُزُّها؛ وأعَلَمه سبب إطلاق اللحية: النبي محمد؛ أتعرفه؟

- نعم، قال:

- كان صاحب لحية؛ والأنبياء كلهم أصحاب لِحَى؛ فاللحية من سنن الأنبياء.. ورأى الصبي شرد في أوهامه، وتخلى عن عَضُده فترك تعليمه، واستأنف داخلًا سوق الجُملة؛ يبحث عن زوجته وأمّها؛ إذ حثهما ورود السوق، وعدم انتظاره، طلبًا للوقت؛ متى فرغتا من الصلاة قبله؛ فمَشْيَة النساء لكاعة! فاستقبلتاه تضحكان لما حَصَلَ لهما حين دخولهما السوق، وانعَطافهما على الرجل القريب من الباب يسألان عن الأسعار؛ فسبق ذات الغلام أباه، رافضًا البيع لهما؛ بعلة؛ أنهما إخوان، فأنبأتاه أنهما لا تحبان الإخوان؛ فاستمر في رفضه؛ وميَّزَ بينهما:

- لا؛ أنتِ إخوان؛ وأشار إلى زوجته المنتقبة، وهيَّ ليست إخوانًا؛ إلى حماته لأنه تلف شالًا تكشف عن وجهها، فتحدثت حماته تدفع عن ابنتها التهمة:

- لا يا خُويا؛ ليست إخوانًا.. فمضى في عَزْمِهِ:

- أنتِ لستِ إخوانًا؛ هَيَ إخوان. فتركتاه لقناعته؛ يردد في إثرهما:

- يا لله يا إخوان ؟.. ومروا به خارجين من السوق، فعاد إليهم؛ وكانت السيارة تسير بطيئة؛ فالأرض رمليَّة؛ والحمل ثقيل..ثلاثة أشخاص بصحبتهم ٢٥ بطيخة من الحجم الكبير، ورجع الغلام يُمَيّز بينهم بطريق العارف؛ فأشار إلى مجاهد وزوجته الجالسة في المقعد الأمامي إلى جواره:

- أنتم إخوان؛ وهيَ ليست إخوانًا؛ لحماته الجالسة في المقعد الخلفي يبرّئ ساحتها؛ فضحكت من شدة شُغل هذا الغلام بالإخوان!..

هذه الآونة كانت محكمة جنح مستأنف الإسماعيلية تواصل النظر في قضية تهريب مساجين وادي النطرون خلال يومي ٢٨ و٢٩ يناير ٢٠١١ واقتحام السجن، وفتح أبوابه، وهدم أسواره، وهروب عدد من المساجين الجنائيين، والمعتقلين السياسيين، بينهم الرئيس محمد مرسي الذي اعتقلته الشرطة حينها في ٢٧ يناير؛ حين اندلاع الثورة؛ ونشرت جريدة " المصري اليوم" تفاصيل التقرير المزمع تقديمه للمستشار؛ رئيس المحكمة والذي حمل (سري للغاية)..

وفي شهادة أحد ضباط تأمين السجن؛ أن الخطتين كانتا منظمتين بشكل كبير؛ دل على ذلك؛ سيارة نصف نقل على متنها سبعة أشخاص هاجموا السجن من الخلف، وفي التوقيت ذاته هاجمت قرابة ٥٥ سيارة نصف نقل السجن من الأمام.. وشهد شاهد آخر:

- قرابة خمسة من قوات التأمين ألقوا أسلحتهم، وهربوا بعد أن وجدوا أنفسهم محاصرين من قبل المسلحين، في الوقت الذي استشهد فيه سبعة من أفراد التأمين داخل السجن وخارجه.. وشهد ثالث:

- إحدى سيارات النقل التي هاجمت السجن شاهدتها تهرب من المكان بعد أن تمكن من بداخلها من تهريب ٣ مساجين بينهم مُتَّهَمٌ فلسطيني؛ عملية الهجوم استمرت ٣ ساعات، وقوات التأمين أرسلت ٣ إشارات استغاثة إلى وزارة الداخلية، ولم نتلق ردًّا إلا في المرة الثالثة: تعاملوا مع المهاجمين بالقوات الموجودة نظرًا لما تشهده البلاد من أحداث كبيرة في مناطق مختلفة.. فتحدث مجاهد لزوجته وهما يطالعان التقرير:

- أتذكرين الذي رأيناه جارًّا وراءه ماشية السجن ساعيًا بصيده الثمين؟!.. يومها ضحكنا من تلك الفوضى الغريبة! وملأ الإخوان الدنيا ضجيجًا؛ أن حبيب العادلي بِأمرٍ من مبارك، هو من أمر بفتح السجون عقابًا للمصريين على ثورتهم!.. مرسي من رأيناه يومها يتحدث للقناة العميلة في الموبايل أمام السجن بعد هروبه:

- ناس من الأهالي هم من فتحوا لنا، ولذويهم السجن، وحرَّرونا من هذا النظام المجرم؛ فتَّحوا لنا الأبواب وأخرجونا؛ قال وهو يعلم أنه كاذبَ..

وقالت الصحيفة: إن وزارة الداخلية قررت تعيين حراسة شخصية مكونة من ثلاثة أفراد للمستشار خالد محجوب؛ رئيس محكمة جنح مستأنف

الإسماعيلية، التي تنظر قضية تهريب المساجين والمعتقلين من سجن وادي النطرون بإجمالي١١ ألفاً و ١٦١ سجينًا؛ تقدم بمذكرة إلى وزير الداخلية قبل ثلاثة أسابيع؛ أثبت فيها ما تعرض له من تهديدٍ من مجهولين، على خلفية القضية التي ينظرها، ورسائل على الموبايل تطالبه بالفصل في القضية دون التطرق إلى هروب رئيس الجمهورية من السجن وقت أحداث الثورة؛ وأن وسيطًا جاءه من مكتب الإرشاد، وهدده بالإيذاء إذا ما أصر على إقحام اسم "مرسي" في القضية التي ينظرهثورة

ورفض محجوب تحرير بلاغ أو كتابة مذكرة بتلك التهديدات؛ معتبرًا أنه إذا ما فعل؛ سيدخل في خصومة مع من يهددونه، وقد يطلبون رَدَّه في القضية التي ينظرها لكونه على علاقة خصومة مع أحد أطرافها.. ومن المقرر أن يستمع القاضي في الجلسة المقبلة ٥/٩ إلى أقوال اللواء حمدي بدين؛ قائد الشرطة العسكرية وقت أحداث ثورة يناير؛ واللواء عاطف شريف؛ مساعد وزير الداخلية لقطاع السجون السابق، ورئيس الجهاز القومي للاتصالات خلال الأحداث.

كما حددت جلسة ١٢ مايو لسماع شهادة مأمور سجن ٢ وادي النَّطرون، ورئيس المباحث، بالإضافة إلى كتيبة تأمين السجن بصفتهم؛ وهو السجن الذي كان مُودعًا فيه رئيس الجمهورية سجينًا.. وقرأ مجاهد: وقال المقدم أحمد جلال شاهد في قضية اقتحام السجون لـ " المصري اليوم " في حوار للجريدة:

- أن عناصر مسلحة من حركة حماس، يساعدها عناصر من البدو، شاركوا في عمليات الاقتحام أثناء ثورة ٢٥ يناير. وأن ٢٢٩ سجينٍ هربوا من سجن أبي زعبل الذي كان موجودًا في خدمته.

- وماذا عن شهادتك أمام هيئة المحكمة التي تنظر قضية اقتحام سجن وادي النطرون، وهروب عدد من المساجين؟

- مضمون شهادتي أمام محكمة جنح؛ مستأنف الإسماعيلية التي أدليت الثلاثاء الماضي؛ تتلخص في كيفية اقتحام سجن أبي زعبل (شديد الحراسة) بصفتي ضابط التنفيذ العقابي بالسجن حينها؛ وأكدت في شهادتي أن الرواية التي جاءت على لسان اللواء " القوصي" مأمور سجن وادي النطرون عن وجود مجموعات مسلحة حضرت بسيارات، واقتحمت السجن صحيحة؛ وأن هذه العناصر كانت من حماس؛ عرفنا ذلك من السجناء الذين قاموا بتسليم أنفسهم بعد الهروب.

- هل كان هناك استدعاء رسمي من هيئة المحكمة لسماع أقوالك؟

- لم يكن هناك استدعاء رسمي بمعنى الكلمة، ولكن هيئة المحكمة ناشدت من لديه معلومات بشأن عمليات اقتحام السجون أن يتقدم إلى المحكمة للإدلاء بأقواله؛ وأنا رأيت أنها شهادة واجبة بصفتي ضابط سجن أبو زعبل وقت اقتحامه، وما شجعني على الإدلاء بأقوالي تقدم اللواء "عصام القُوصِيّ" مأمور سجن وادي النطرون بالإدلاء بشهادته؛ خاصة أنني

حررت محضر اقتحام السجن بصفتي من قيادات السجن، وحمل المحضر حينها رقم ١٠٥٠ لسنة ٢٠١١ وتم إحالة المحضر إلى نيابة (بنها) الكلية التي استكملت التحقيقات فيما بعد.

- وما روايتك عن واقعة اقتحام سجن أبي زعبل، والتي أدليت بها أمام المحكمة التي تنظر القضية؟

- الرواية أن بين الساعة الواحدة والنصف، والثانية ظهر يوم السبت ٢٩ يناير؛ اليوم التالي لجمعة الغضب؛ فوجئنا بعددٍ من الأشخاص يطلقون نيران كثيفة تجاه أبواب وأسوار السجن، وكذلك أبراج الحراسة؛ كانت عبارة عن نيران أسلحة جيرانوف يستخدمونها من فوق سيارات ربع نقل، وبدأ جنود وأفراد الحراسة في التعامل معهم إلى أن نفدت ذخيرتهم، فدفعنا بالمخزون الاستراتيجي من الأسلحة والذخيرة حتى نستطيع المواصلة في حراسة السجن، وعززنا من قوتنا؛ إلا أنه كان هناك فارقًا في الأسلحة والمعدات بيننا وبينهم؛ مما ساعد على انتهاء المواجهة لصالحهم بعد نفاد ذخيرتنا.

- ما المعلومات التي توفرت لديكم بشأن هوية المهاجمين للسجن؟

- كان المهاجمون يرتدون جلابيب بيضاء وجواكت، واشتبهنا في البداية أنهم من بدو سيناء "عرب" إلا أن السجناء الجنائيين الهاربين الذين عادوا وسلموا أنفسهم إلينا، أكدوا أن المهاجمين كانوا عناصر فلسطينية يتبعون

حركة حماس؛ معظمهم من كتائب عز الدين القَسَّام، وبصحبتهم بعض البدو؛ مستدلين على ذلك بلهجتهم وزيّهم، وبعد ذلك ردد البعض روايات حول المهاجمين بأنهم بدو من سيناء؛ وأعضاء من حزب الله وعناصر من حركة حماس؛ خاصة أن السجون التي تعرضت للهجوم كانت تضم متهمين من البدو، والتيارات الإسلامية، والسياسيين؛ وفي نفس السياق علمنا أن أجهزة سيادية حينها رصدت محادثات هاتفية بين هؤلاء المنفذين.

- هل تقصد أن المهاجمين استهدفوا السجون لتهريب السجناء السياسيين؟

- سجون أبو زعبل عبارة عن خمسة سجون؛ ليمان ١ وليمان ٢ والسجن شديد الحراسة، والسجن العسكري للمحكوم عليهم والمتهمين من أفراد الشرطة، وسجن المرج؛ وجميعها تقع في مدينة أبي زعبل، ما عدا سجن المرج فيقع بمنطقة المرج؛ ويحتوي ليمان ١على حوالي ٢٥٠٠ سجينًا، فيما يضم ليمان ٢ نفس العدد تقريبًا، ومعظم المتهمين من الجنائيين؛ أما سجن (شديد الحراسة) والذي كنت أعمل به وقت الاقتحام فيضم حينها ٢٢٩ سجينٍ سياسيٍّ، وقد عاود معظم الهاربين الجنائيين تسليم أنفسهم إلى السجن، حتى لا يتعرّضوا إلى عقوباتٍ مشددة في ضبطهم بعد ذلك، ومن لم يسلّم نفسه، تم ضبطه في الفترة من بعد الثورة حتى الآن؛ إلا القليل.

- من هم أبرز هؤلاء السجناء؟

- يسري نوفل؛ محكوم عليه بالمؤبد، لاتهامه بالتورط في اغتيال اللواء حسن أبو باشا؛ وزير الداخلية الأسبق، رمزي موافي؛ الطبيب الشخصي لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، وأعضاء خلية حزب الله. وتمكن المهاجمون من تهريب ال ٢٢٩ سجينٍ، أثناء عملية الاقتحام بعد أن نفدت الذخيرة من الكتيبة المكلفة بحراسة السجن، ومن وقتها لا نعلم عنهم شيئًا.

- هل ترى أن عملية الاقتحام كان مخططًا لها، أم أن منفذيها استغلوا حالة الانفلات الأمني التي سقطت فيها البلاد بعد جمعة الغضب؟

- كان واضحًا أن عملية الاقتحام التي تعرض لها السجن (شديد الحراسة) بالأخص مخططة؛ ومنفذوها تدربوا على مثل هذه العمليات، وأعتقد أنهم كانوا جاهزين وعلى استعداد لتنفيذ العملية، مستغلين حالة الانفلات الأمني، وسقوط الجهاز الشُّرَطِي، وكانوا عارفين ماذا يفعلون، والظروف خدمتهم؛ استخدموا عدد من اللوادر في شق ٦ فتحات في جدران السجن؛ وتحت تهديد السلاح، وقدموا من ناحية الزراعات، وبدؤوا في خلق الفتحات تحت وطأة الاشتباكات.

- ماذا عن الخسائر في صفوف قوة السجن؟

- مقتل ٧ من أفراد الحراسة، وإصابة ١٨ آخرين من رجال الشرطة؛ وأثبتت نيابة بنها هذه الوفيات والإصابات، بجانب التلفيات بأسوار،

وأبواب بعض من مباني السجن، والنيابة مسئولة عن نتائج تحقيقاتها وإعلانها.

- ماذا عن محاولات تعزيز القوات، والحصول على الدعم من القاهرة لاحتواء الموقف؟

- حاولنا مرارًا طلب الدعم من القيادة المركزية في طرة، إلا أنه تعثر دفع تشكيلات إلينا؛ حيث كان خروج سيارة شرطة على هذه الطرق المؤدية إلى السجن في هذا التوقيت بمثابة انتحار، ولم يستطع أحدٌ أن يأتي إلينا؛ وأحد القيادات قال لنا هاتفيًّا: لا يكلف الله نفسًا إلا وُسْعَها.

- أين ذهبت بعد انتهاء عملية الاقتحام وتهريب السجناء؟

- جلست في بيتي لمدة ٤ أيام، وكانت حالتي النفسية سيئة جدًا بعد الذي شاهدت، وعاينت، واحتراق سيارتي الملاكي أمام السجن؛ إلَى أن اتصل بي المسئولون، وطالبوني بالعودة إلى العمل، وأعادوا توزيعي على سجن المرج الذي تعرض للاقتحام هو الآخر مرتين في أحداث الثورة.

- هل تم استعادة أحد من السجناء السياسيين الهاربين؟

- لم يتم إعادة أحد منهم حتى الآن، ومسؤولية البحث عن السجناء الهاربين على مستوى الجمهورية، وتقصي المعلومات عن السجناء الهاربين، تقع على عاتق مصلحة قطاع السجون أولًا، فمن المفترض بعد اكتشاف

هروب هذا العدد أن تبدأ مصلحة السجون في مخاطبة الجهات الأمنية المعنية، وإرسال إشارات، وتحرير نشرات بأسماء، وأوصاف الهاربين، وتوزيعها على جميع الأقسام، والمديريات، والإدارات لضبطهم.. فتفكه مُجاهد لزوجته، وهما يطالعان هذا الحوار المُدهش:

- وهل وزارة الداخلية في حاجة لنشر اسم محمد مرسي العياط، وأوصافه، وتوزيعها على جميع الأقسام والمديريات لضبطه؟! فاستفسرت الزوجة:

- وما هي تهمة مرسي؟.. قال:

- أدناها؛ الهروب من السجن، وعدم تسليمه لنفسه حتى الآن؛ وما خفي كان أعظم.. فسألته عما خفي؟ قال:

- كل شيء سينكشف ويبان؛ عبارة شهيرة للمثل مدبولي في مسرحية ريا وسكينة.

- معقولة سنرى مرسي في القفص ؟.. قال: "ليس ذلك على الله بعزيز".. قالت:

- كان الإخوان ولّعوا الدنيا.

وفي الثاني والعشرين من يونيو؛ قررت محكمة مستأنف الإسماعيلية غلق باب المرافعة في القضية، وتحديد جلسة الأحد ٢٣ يونيو للنطق بالحكم؛ فأذيعت على الهواء عبر إحدى الفضائيات الخاصة؛ بدأت الجلسة بمرافعة هيثم فاروق؛ رئيس النيابة، الذي تلا مذكرة وصفتها هيئة الدفاع بالمرافعة الجليلة؛ قال:

- قال تعالى: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" المحكمة استمعت على مدار الجلسات إلى أقوال، وشهود حملت وقائع أقل ما توصف به أنها خيانة للوطن، وغدر بشعبه، وخِسَّة في الغاية؛ من فئة لا يعرفون في أعمالهم طريق الحق إلا بأقوالهم دون أفعالهم؛ ليعلم الشعب ما حاك به من مكائد، ومؤامرات، بأيدي من يدَّعُون أنهم من أبناء هذا الوطن؛ وهم عملاء خارجه، فكان لِزامًا علينا أن ندق ناقوس الخطر ليعلم الجميع أي جرمٍ وقع ؟.. إننا نعيش مأساةً حقيقية، حين يتبين أن الدواعي المحركة لتلك المؤامرة لا تَنْبَعِثُ عن مجالات عقائدية، بقدر ما تنطلق من قلوب مريضة أتلفها خمر السلطة؛ فأبت أن تفيق من سكرتها، ولم يكفهم أن يمتزج خمر السلطة في كأسهم بدم آلاف الشهداء الذين سقطوا؛ بل وقفوا على أجسادهم لتمتد أيديهم إلى زمام الأمور.

وأكدت النيابة أن وقائع تلك الدعوى وما حملته ألسنة الشهود؛ أنه خلال ثورة يناير قامت مجموعات غفيرة حاملة أسلحة متنوعة على سيارات قاصدين منطقة وادي النطرون في جنح الظلام، وأمطروا القائمين على حراسة السجن بوابلٍ من الرصاص؛ لم يُجْدِ معه مقاومة

المتواجدين لتأمينه لتباين الأعداد، ونوعية التسليح؛ مستخدمين آلات أعدوها سلفًا دكوا بها أسوار السجون وعنابرها، مستهدفين أشخاصًا بعينهم لإخراجهم من داخلها، ثم اتبع ذلك تمكين عدد من السجناء من الخروج؛ لخطةٍ وُضعت مُسَبَّقًا، ولم يُكشف عنها إلا من خلال تلك المحاكمة.

وأضاف، شهادة اللواء محمود وجدي؛ وزير الداخلية الأسبق، تكمل رواية المخطط الذي حِيكَ لذلك البلد، من توافرٍ للمعلوماتُ، ورصد اتصالات لدى الجهات الأمنية تَمَّت بين عناصر تنتمي لحركة حماس؛ وحزب الله، وبين بعض الجماعات الداخلية، بعضها تسلل إلى البلاد عبر الأنفاق، وأن تلك المعلومات التي توفرت تنفي أي تواطؤ، أو مؤامرة تُنسب إلى رجال الشرطة، وأنهم مارسوا عملهم على قدر المستطاع؛ ويؤكد ذلك شهادة مأمور سجن وادي النطرون، بأنه اضطر إلى ارتداء ملابس السجناء بعد نفاد الذخيرة حتى يتمكن من النجاة.

وسرد أقوال بعض الشهود؛ المقدم/ محمد نجم؛ ضابط أمن الدولة داخل سجن وادي النطرون؛ المستقبل لـ ٣٤ قيادة اخوانية أكدوا له؛ أنهم سوف يخرجون اليوم أو غدًا.

وتابع ممثل النيابة: إن هؤلاء الذين يدَّعون الإسلام، قتلوا، وسفكوا الدماء لتولي سلطة البلاد. وجأر؛ حرام على هذا الوطن بعد اليوم أن تحملهم ذرات ترابه، أو تَرْويهم قطرات مائه، أو يطْعَموا من ثماره، وتلا

قول النبي الكريم: "لست أخاف على أمتي غَوْغاء تقتلهم؛ ولا عَدُوَ يجتاحهم ولكن أخاف على أمتي أئمَّةً مُضلّين إن أطاعوهم فتنوهم".

وتساءل عضو النيابة: إذا لم يكن من المعتاد إيداعهم بهذا السجن، وأن إيداعهم خلال تلك الفترة كان نظرًا للأحداث الجارية بالبلاد ؟.. فمن أين لهم بتلك الأقوال التي أدلى بها ذلك الشخص؟ تلك المعلومات لم تأته إلا لأنه على اتصالٍ مسبقٍ بعناصر اقتحام السجن؛ وتساءل: أَيَّ أُخْوْة يدَّعون؟! وأيَّ دين ينتمون؟! وأيَّ حق يبغون؟!. ولا يدَّعِ أحد على الإسلام أنه دعا إلى عنفٍ، أو قتلٍ، أو خراب؛ فدين الإسلام، وكافة الأديان السماوية لا تعرف منطق (الغاية تبرر الوسيلة).. إن ما سردته النيابة العامة على مسامعكم، هي وقائع حملت جنايات يعاقب عليها القانون.

وبشأن المتهم الماثل؛ السيد محمد عطية، فقد اتضح للنيابة العامة أدلة جديدة نافية لاتهامه، ظهرت في أثناء سير الدعوى أمام المحكمة؛ وتفوض النيابة العامة للمحكمة تحديد مصير المتهم الماثل. وقال: آنَ لهذا المسلسل الإجرامي، وحركاته المفزعة أن تنتهي، بعد أن خَلَّفت جراحًا تحز في النفس. واختتم ممثل النيابة حديثه أمام هيئة المحكمة: إن أنظار المجتمع تتطلع إلى منصتكم وتنتظر كلمتكم. والنيابة العامة إذ تؤكد أن حماية المجتمع من تلك المخاطر أصبحت ضرورة لا مناص من التصدي لها. فأنتم يا من حملتم أمانة الناس في أعناقكم؛ أنار الله بمصابيح عدلكم

بصائر الناس؛ وختم: "فأمَّا الزبد فيذهب جفاءً؛ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"..

فمضى حضور الجلسة رويدًا رويدًا يتنفسون الصعداء؛ مندهشين لشجاعة قلب هذا الرجل؛ وفاضت من الدمع عينا مجاهد:

- تظل مصر لا خوف عليها، ما بقي فيها أمثال هذا؛ هذا بيانٌ صافٍ؛ لم يخشَ صاحبه لومة لائم؛ لا الرئيس الذي في السلطة، ولا تلك الجماعة؛ فجزاه الله خيرًا؛ وثبّتنا الله وإياه.. والتفت إلى زوجته فرآها هي الأخرى تنظر إلى القاضي عبر التلفاز؛ وزمت شفتيها تبكي من فرط السعادة !!..

صبيحة اليوم التالي استفتح مجاهد الزميل معه بالإدارة بهذه المحاجة النارية:

- أرأيت يا مخيول مرافعة هيثم فاروق؛ رئيس النيابة في قضية اقتحام سجن وادي النَّطرون، وتعاون عناصر من حماس؛ وحزب الله؛ والإخوان على اقتحام السجون؛ وحرق الأقسام؛ وهروب مرسي؟؟

وكمن وُطِئ له دُمَّلُ زعق:

- القضاء مُسَيْس يا مولانا؟! هناك تواطؤ بين أجهزة الدولة.

- صدقت؛ هناك تواطؤ؛ بين منْ ومَن؟ أحِبْ؟

- بيْنَ من ومنْ يا مولانا ؟.. قال:

- بين المجلس العسكري الذي سكت عن تلك الجرائم وبين جماعتك، هابكم لمَّا هدّدتم بحرق مصر، إن لم تكن نتيجة الانتخابات لصالح مرسي؛ المشكلة يا مخيول في النائب العام الخصوصي الذي لا يحرك ساكنًا؛ وهو ما يفضح استماتتكم في بقائه، رغم مطالبة كل القوى برحيله؛ عيّنه مرسي دون الرجوع للقضاء، ليتستَّر على جرائمكم؛ وسلاحًا ضد مخالفيكم.. وفجأة أكد:

- سيعود مرسي، والمرشد، وقيادات الإخوان للسجن.

- من أين لك تلك القناعة يا مولانا؟ سمعتك كثيرًا تتحدث عن نهاية الإخوان، ولا تزال الجماعة تحكم؛ ولها أنصار.

- قلت ماذا؟ لا تزال الجماعة تحكم؟! إذًا، مرسي لا يحكم.. صدقت وأنتم الكذَّابون.

- لا تشتم يا مولانا؛ نحن نتناقش.

- والله؛ لا أقصد؛ أقصد أن مرسي راحل، وهذه الجماعة تَزُول؛ كما زال مبارك؛ حينها يرتاح هذا الشعب. فردد دَهِشًا:

- تزول جماعة الإخوان؟! لم يسبق أَحَدٌ إلى قولك هذا يا مولانا ؟.. وفي نبرةٍ أقل مشاحنة حاول في إقناعه:

- يا مولانا، السياسة شيء متغير، وسلم النزول والهبوط، وارد في كل شيء؛ وفجأة رجع إلى الصياح: لكن أن تقول عن الجماعة التي بقيت

أكثر من ثمانين عامًا، رغم ما واجهته في عهود الاستبداد من اضطهادٍ وظلمٍ؛ تزول؟ لا لا؛ أنت مخطئ يا مولانا، سامحني؟ أنت تكره جدًا جماعة الإخوان؛ وهذا شيءٌ يدهشني منك كرجل دِينٍ أكنّ له احترامًا؟ فلك قدرة، ومنطق حلو في هذا المجال؛ بل أعتبرك ليبراليًّا؛ وأحياناً شيوعيًّا، وضحك، لكن تخسر كثيرًا بحدتك؛ تحدثك في السياسة بمثل هذا القطع.. فأجابه بمثل بنبرته الهادئة:

- سألت قناعتي من أين؟ وتكلمت أن الباعث عندي هو كراهيتي لجماعة الإخوان؛ وأؤكد لك حتى لا تروج ما لم أقله؛ كَتَقَوّلك في وجهي أني شيوعي.

- أنا أقصد أن أفكارك اشتراكية، فهل أنت ناصري يا مولانا؟

- أنا أتعلم كُلَّ نافعٍ؛ وأُعَلِمُه؛ وأقصد بزوال الجماعة، ظهور الناس على ما ظلت تدندن سنينًا أنها تطلب إعلاء الدين؛ وتطبيق الشريعة، لتنال تعاطفهم، وهي تعمل من أجل الجماعة، وشهوة الحكم؛ أُبَيّنُ لك.. "ولا يَحِيقُ المَكْرُ السيئ إلا بأهله".. فالجماعة مكرت مكر السيئ، وخانت، وكذبت، وقال عز وَجَلّ في حق أصحاب النبي يوم حنينٍ؛ لمّا وقعوا في العُجب بكثرتهم واعتمدوه للنَّصْرِ.. "ويوم حنينٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئًا وضاقت عليكمُ الأرضُ بما رَحُبَتْ ثم وليتم مُدْبرين". فما بالُك بجماعة ليست على شيءٍ، اسْتَخَفَّتْ بشعبٍ ظنًا أنه لا ينكشف ما يُبَيّتون ولن يؤاخذوا به٠٠"وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له".. وأنبأ

صلى الله عليه وسلم: "ليس ذنب أجدر من أن يعجل الله عقوبته في الدنيا من البَغْيّ"؛ وهذه الجماعة بغت؛ قتلت، وحرقت، وفتنت الناس بما روَّجت من أكاذيب٠٠"والفتنة أشدُّ من القتل"..من هذا وغيره أستنبط؛ أنهم بأسرع مما كان يُتخيل، يسعون لتحقيق قدر الله فيهم، وبالمناسبة؛ أنا، وأهلي، ومن أعرف جميعًا، وقعّنا استمارة تَمَرُد، أحث الناس على التوقيع عليها، وأنزل في٣٠ يونيو - بمشيئة الله - يوم رحيل مرسي..

فسأله عن سرّ تَغَيّر موقفه؟ وهو الذي لم يخرج في ٢٥ يناير ضد مبارك؛ ألم تَقُل بعدم الخروج على السلطان الجائر؟!.. فأكمل له نص الحديث:

- "إلا أن تَروا كُفْراً بَواحًا عَنْدكم من الله فيه بُرْهانٌ".. فاستخف يسأل:

- وهوَ الدكتور محمد مرسي كفر يا مولانا؟

- لا تقوّلني ما لم أقله، مرسي لم يكفر؛ فأنا لا أُكفر بالكبيرة؛ لكن وُسّدَ الأمْرُ إلى غير أهله؛ وخان.. فسأله عن الرئيس السابق:

- ومبارك؛ الظالم، السارق، المستبد، المُزّور، العميل للأمريكان، يا مولانا؟! فحذّره:

- إياك والصياح؛ نحن إدارة يتردد علينا الجمهور، ونوافذنا مفتوحة على الطريق فاهدأ.

- حاضر يا مولانا.. واستمر يسأله عن مبارك؟... فتحدث إليه:

- مبارك ظالم؟ قد يُعْلمُ، سارق؟ لا أعتقد، مستبد؟ نعم، عَلِمَ بتزوير الانتخابات؟ نعم؛ لكنه لم يكن خائنًا، ولا عميلًا؛ رفض صراحة إقامة قواعد أمريكيّة في مصر؛ وكان رجل دولة.

- مبارك كان عميلًا للأمريكان، وحليفًا استراتجيًّا لليهود يا مولانا.

- العميل مرسي، عزيزي وصديقي العظيم بيريز؟!.. يعيره بخطاب مرسي الشهير في ٢٩ شعبان/ ١٩ يوليو، لرئيس دولة إسرائيل؛ وكان قد قال في حملته الانتخابية ينعتهم؛ بـ مصاصي الدماء؛ مشعلي الحروب؛ أحفاد القردة والخنازير؛ لا حياء؟ منطقكم؛ دَارِيهِم مادمت في دارهم، ورضّيهم مادمت في أرضهم؟

- اسْمعْ، اسمعْ؛ لو كان مبارك عميلًا؛ لتركوه يحكم؛ ولمَا أعانوا عليه؛ بل اتفقوا معكم كبديل ينفذ مخططهم الشرق الأوسط الكبير! محمد مرسي هو من أنهى ما كان يناوش به الفلسطينيون المحتل الإسرائيلي، بمقاومةٍ مشروعةٍ؛ اعتبرها مرسي عُدوانًا باتفاقٍ أذهل اليهود، والأمريكان أنفسهم؛ مرسي قدَّم لليهود، والأمريكان، ما لم يقدمه مبارك؛ ربما فعله خديعة؛ وهم من قال الله فيهم ٠٠" وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّةٌ وظنوا أنه واقعٌ بهم"...؛ رفع الله الجبل فوق رؤوسهم ليرهبهم فيطيعوه؛ وتحسب جماعتك أنها تخدعهم؟!

فهدأ الزميل لما بلغ النقاش هذا الموضع الغائر.. وكان قد رأف به فضمه للإدارة لمّا سأله؛ ورغبت جميع الإدارات عنه؛ فأبدى له ترحابًا، رغم معارضة الزميلات لِما يعرفون من انفلاته والجدل؛ إلا أنه رجا أن يكون عونًا له على الالتزام، ويغير منه؛ وكان لا ينهض لصلاة الجماعة، فحثه عليها. ثُمَ بدا له فجأة حماسته الشديدة للإخوان عندما صعدوا للحكم؛ فاعتقده خلية إخوانية نائمة؛ لاستماتته في الدفاع عنهم؛ أكثر من دفاعهم عن أنفسهم. وقَدَّرَ أن مثله؛ كمثل ثَوْرِ معصوب العينين؛ يُصاح به فيمشي؛ ولا عقل له.

- يا مولانا؛ تَمَرُّدٌ، كلمة تعني العتو والعصيان وهي صفة الشياطين؟.. فزجره:

- المتاجرة بالدين هي ديدنكم.

- أنا لست إخوانًا يا مولانا؛ هذا شرف لا أدعيه.

- شرف لك؛ بل أنت أشد إخوانًا من الإخوان أنفسِهم؛ أنت من خلاياهم النائمة، فأقسم٠٠ فاستمر يطارده:

- أعلم أنهم يحثونكم على القسم في مثل هذه الحالات، يعتبرون أن خداع الآخر بالحلف طاعة؛ اسمع؟ إن كنت لست إخوانًا، فجَمْعُ الشباب لا يعنيهم ما تقول، ولا يتاجرون بالدين؛ هم يعبرون بطريقتهم عن سخطهم

عليكم، وغضبهم، وسخط الشعب المصري، ويطالبون مرسي بالرحيل لفشله، وسأنزل ضده في ٣٠ يونيو.

ولمَّا ذهب لمنزل الوالدة لدرس النساء ذهب ومعه ٣٠ استمارة تمرد؛ تلك الفكرة التي تَلقَّفها جموع المصريين، بالقبول، وسرت في الناس سريانًا عجيبًا؛ فبمجرد عرض الاستمارة، وشرح الفكرة؛ لا يسرع الشخص فقط بالتوقيع؛ بل يبادر بتصويرها بالعشرات لعرضها على الآخرين:

- املأ هذه الاستمارة لسحب الثقة من نظام الإخوان؛ الأكثر فشلًا؛ والأشد اسْتماتةً على السلطة من نظام مبارك..
تمرّد rebel حملة (سحب الثقة من محمد مرسي العياط)

أعلن أنا..... الموقع أدناه؛ بكامل إرادتي وبصفتي عضوًا في الجمعية العمومية للشعب المصري سحب الثقة من رئيس الجمهورية الدكتور محمد مرسي عيسى العياط. وأدعو إلى انتخابات رئاسية مبكرة. وأتعهد بالتمسك بأهداف الثورة والعمل على تحقيقها ونشر حركة تمرد بين صفوف الجماهير حتى نستطيع معًا تحقيق مجتمع الكرامة والعدل والحرية.

عشان الأمن لسه مرجعش للشارع .. مش عايزينك

عشان لسه الفقير ملوش مكان.. مش عايزينك

عشان لسه بنشحت من بره.. مش عايزينك ..

عشان حق الشهداء مجاش.. مش عايزينك

عشان مفيش كرامة لِيَّا ولبلدي.. مش عايزينك

عشان الاقتصاد انهار وبقي قاتم على الشحاتة.. مش عايزينك

عشان تابع للأمريكان.. مش عايزينك

الاســـم:

الرقم القومي:

المحافظــة:

التوقيـــع

كانت الفكرة مثالية إلى درجة شجّعت البسيطات من جارات مجاهد، اللائي كنَّ لا يزلنَّ يتعْتِعنَّ في الجزء التاسع والعشرين من القرآن - جزء تبارك- لأنها التحقت للدَّرْسِ متأخرة، أن تنتقدها لمَّا حثهن في نهاية الدرس على التوقيع على الاستمارة، والنزول في ٣٠ يونيو:

- وتفتكر يا أستاذ الإخوان هـ يمشوا بهذه السّهولة؟! وحركت رأسها بالنفي وضحكت، فلمْ يقهرها؛ وأكد للجميع ليدفع عنهن التخاذل:

- "ليس ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا من البَغْيّ"؛ وهم بغوا.. وحرضهنَّ على التوقيع، والنزول في ٣٠ يونيو:

- الكثرة تغلب الشجاعة؛ المهم التعاون، والنزول للميدان في ٣٠ يونيو.

كانت دَارِسَةُ عملاق؛ زوج أخ شقيق لأبي سريع.. طول بعرض؛ تُفَصّلُ منه ثلاثًا، وكأن هذا الشعب لا يعرف مُستحيلاً؛ إذ لمّا توفيت زوجته - ولم تكن بالهزيلة أيضًا - بحث، وقد تخطى الستين كثيرًا عن أخرى؛ فأعجبته هذه العملاق؛ فسمعت بالدرس من سلفتها فلتزمته التزامًا؛ فكانتا اثنتان من بيتٍ واحد، وزمرة أطفال أحفاد الأولى قدموا للفرجة، وإظهار مواهبهم في حفظ القرآن أمام الكبار؛ وكانت هاتان السيدتان مجتهدين. إلا أن السيدة العملاق، كانت أشدّ تعْتعةً لألفاظ القرآن الغريبة من سلفتها؛ يقرأ لها من واجبها الأسبوعي.. "سَنَسِمُهُ على الخرطوم"..فتقرأ: سَنَسِمُّهُ.. ويجد المعنى فاسدًا؛ من السّمّ القاتل.. فيعيد عليها القراءة الصحيحة.. فتضحك؛ إذ تعاود فتفشل:

- عَذّبتني يا أستاذ؛ سأحاول مع أبي نادر في البيت.

- لا؛ ويعاود القراءة حتى تقرأ اللفظة، ولوْ لمرةٍ واحدةٍ صحيحةٍ، ويستطرد مع لفظةٍ أشد.. "ولا يَسْتَثْنُون".. فتردد: ولا يسْ تَنُسون..

- كوليد يحاول استدعاء أمُّه صباح فيقول..باح فتضحك؛ فيعقب لهن:

- كـأنَّكنَّ أعجميـات؛ وكـأن اللغـة العربيـة ليست لَغتكُنَّ ! أتعلمنّ لِم؟ لأن آلـة اللسان ظلت معطلةً عمركن، أكثرنَّ من القراءة.. ويسألهنَّ:

- كم مرة تجلسن للطعام، أو لرعاية الدجاج في اليوم؟ ويُجيب بنفسه: ثلاث مرات؛ في كل مرة ساعة؛ إن أردتنَّ الفلاح لابد من الجلوس للقراءة ثلاث ساعات كل يوم.. فتجيب تلك السيدة العملاق بظُرْفٍ:

- لم يعد عندنا دجاج يا أستاذ؛ عدمن العافية؛ أو تقول:

- أخذتهم الشُّوطة وحلول مرسي.. أو تنبئ الأخرى:

- وهو من اللي بقى عنده نفس للزاد يا أستاذ؟! فيطمئنهن:

- تتخلصُ مصر من مرسي، وجماعته كما تخَلَّصت من الحزب الوطني- بمشيئة الله -؛ فتصيح بصدق:

- يا فرج الله ؟.. ثمَّ تعاود السؤال:

- صحيح هـ نخلص من الإخوان يا أستاذ ؟!..فيحثهنَّ:

- فقط؛ وقعنَّ استمارة تمرد، وانزلن في٣٠ يونيو، ويرجعهن للدرس:

- نقرأ ؟.. فيرددن وراءه؛ حتى ينطقهنَّ الكلمة الغريبة من القرآن صحيحة تمامًا؛ فيفرح ويعبر لهن؛

- فرحتي بدعوتكن أعظم من فرحتي باعتلاء المنابر للرجال؛ نَحَّست أجسادهم من كثرة ما سمعوا؛ فلم يستجيبوا؛ أنتن أحرص على التعلم منهم..

وتحدث وزير الدفاع، في الرابع عشر من شعبان ١٤٣٤ هـ؛ الثالث والعشرين من يونيو ٢٠١٣ أمام الندوة الإستراتيجية، التي أقامتها الشئون المعنوية بالقوات المسلحة.. الجيش لن يسمح بالفوضى أو انهيار الدولة.. لدينا أسبوع يمكن خلاله تحقيق تفاهم، وتوافق، ومصالحة لحماية مصر... إن القوات المسلحة على وعيٍ كاملٍ بكل ما يدور في الشأن العام الداخلي، دون المشاركة، أو التدخل لأنها تعمل بتجردٍ وحيادٍ كامل، وأن ولاء رجالها لمصر ولشعبها العظيم.. القيادة العامة للقوات المسلحة منذ توليها المسئولية أصرت على أن تبتعد بقوتها عن الشأن السياسي؛ وتفرغت لرفع الكفاءة القتالية لأفرادها ومعداتها؛ وما تم من إنجازات في هذا الشأن خلال الأشهر الثمانية الماضية يمثل قفزة هائلة..وَحَذَرَ:

- هناك حالة من الانقسام داخل المجتمع؛ استمرارها خطر على الدولة المصرية؛ ولابد من التوافق بين الجميع، ويخطئ من يعتقد أن هذه الحالة في مصلحة المجتمع .. .. ولن نظل صامتين أمام انزلاق البلاد في صراعٍ يصعب السيطرة عليه.. علاقة الجيش والشعب، علاقة أزلية، وهي جزء من أدبيات، وأخلاق القوات المسلحة تجاه شعب مصر؛ ويخطئ من يعتقد أنه بأي

حالٍ من الأحوال يستطيع الالتفاف حول هذه العلاقة، أو اختراقها؛ إرادة الشعب المصري هي التي تحكمنا، ونرعاها بشرفٍ، ونزاهةٍ، ونحن مسئولون مسئولية كاملة عن حمايتها، ولا يمكن أن نسمح بالتعدّي على إرادة الشعب، أو أن يتم المساس بأحدٍ من شعب مصر في وجود جيشه.... وتابع:

- إن القوات المسلحة تدعوا الجميع دون أي مزايدات للحفاظ على الشرعية؛ وإلى إيجاد صيغة تفاهمٍ، وتواصلٍ، ومصالحة حقيقية لحماية مصر وشعبها؛ ولدينا أسبوع يمكن أن يتحقق فيه الكثير، وهي دعوة متجردة إلا من حب الوطن؛ من أجل حاضره ومستقبله..

كان الخطاب يشفي الصدور إلا عبارة؛ إن القوات المسلحة تدعو الجميع للحفاظ على الشرعية؛ فأي شرعية يعني؟ أشرعية مرسي؛ وبقاء الحال على ما هو عليه؛ أم شرعية الميدان والحشود الغاضبة التي تنوي النزول للميدان للخلاص منه ومن هؤلاء؟؟!

بات مجاهد مستوحشًا قلقًا كالكثيرين من خيبة الرجاء لو حدثت؛ ولأن محكمة جنح مستأنف الإسماعيلية بالأمس، كانت قد قضت بإحالة أوراق قضية الهروب من سجن وادي النطرون خلال أحداث يناير ٢٠١١ إلى النيابة العامة، لاستكمال التحقيق في الوقائع.

وطلبت المحكمة من النيابة اتخاذ اللازم، بشأن ما أثير بأوراق الدعوى، عن اشتراك قيادات التنظيم الإخواني، والمعتقلين الهاربين من التنظيمات

الجهادية، والجماعات التكفيرية، والسلفية في وقائع السجون. وطالبت مخاطبة الانتربول الدولي للقبض على كل من سامي شهاب؛ القيادي بحزب الله اللبناني، وأيمن نوفل، ومحمد محمد الهادي؛ من حركة حماس، ورمزي موافي؛ أمين تنظيم القاعدة في شبه جزيرة سيناء؛ الهاربين من السجون المصرية، وإحضارهم للتحقيق معهم فيما أثير بالأوراق عن اشتراكهم في الوقائع حتى يكون الجميع متساوين في الحقوق والواجبات، ولا يفلت أيٌّ منهم من جريمة ارتكبها ؟.. والتحقيق كذلك مع ٣٤ من قيادات الإخوان منهم الرئيس؛ من الهاربين الذين استفادوا من اقتحام السجون، وفتحها، واللواذ بالفرار.

فاستنبط مجاهد من شجاعة المستشار المحجوب شيئًا مطمئنًا؛ أن الناس لن تيأس.. وضحك لبراءة المتهم؛ السيد عطية محمد عطية؛ المفجر للقضية برمتها من الاتهامات المسندة إليه! كشفت مفاجآت التحقيق أنه ليس المتهم الحقيقي؛ المتهم الحقيقي صدر له عفوٌ رئاسي من مرسي بمناسبة أعياد أُكْتُوبر! إلا أن المرء لا يعدم أبدًا المحبطات؛ إذ لم تتخذ النيابة العامة أيَّ إجراء، أو توجه أيَّ اتهام، بعد مرور عامين ونصف العام، لأي من الذين ذكر اسمه؛ وثَبُت تورطه في تلك الأحداث.

وكشفت شهادة الشهود في الجلسة السرية، صحة ما جاء بالأوراق؛ وأن تحرياتهم، ومتابعتهم للتنظيمات المتطرفة، وبالأخص الإخوان؛ أكدت أنهم سوف يستغلون الأحداث لتحقيق مخططهم؛ والاستيلاء على الحكم، وتم

إعداد مذكرة من جهاز أمن الدولة السابق، وعرضها على وزير الداخلية وقتها؛ وكشفت عن أسماء ٣٤ قياديًّا من قيادات مكتب الإرشاد صدر أمر باعتقالهم، وتم القبض عليهم في الساعات الأولى من يوم ٢٧ يناير، وإيداعهم الحجز فجر ذلك اليوم.. وعند قيام الأحداث في ٢٨ يناير، وما شهدته البلاد من انهيارٍ للشرطة، صدر أمرٌ بنقلهم إلى سجن وادي النطرون، وقام باستقبالهم ضباط مباحث أمن الدولة بهذا السجن٠٠لكن المُفْرِحُ عدم انتظار الناس مجيء٣٠ يونيو؛ بل أسرعوا بالنزول في جميع الميادين؛ في جميع المحافظات خشية أن يسْتَبقها الإخوان، ثم كان النزول الكثيف يوم الثامن والعشرين؛ يوم الجمعة؛ وكانت بشائرهم قد خَفَّت إلى النزول يوم الأربعاء السادس والعشرين، كأنهم بصدد الإحْماء للمعركة الكبرى!..

ولأول مرة يخَاطِرُ مجاهد بالنزول للميدان في الثامن والعشرين؛ استنهض كُلَّ من يعَرَفه ويثق به؛ ومن باب؛ أعقلها وتوكل؛ خَلَّفَ السيارة ال ٢٧ فيورا؛ كُلُّ مِلْكه إلى جوار مسجد التوحيد، وللأمان نشر عليها الغطاء يُعَمِّي عن المُتَعَقَّب للإيذاء، وسار - هو صاحب اللحية الكبيرة- من مساكن الشناوي إلى قلب الميدان. كانت المسافة تتجاوز ثلاث مائة متر، وكان الناس من بعد العصر ضُفَفًا تتوافد هرولة، وكلما اقترب من قلب الميدان ازدادت الكثافةً، كان في بذلة نصف كم أنيقة لونين كحلي وأزرق سماوي، وفي سيره انتبه له كل من مَرَّ به؛ ورأى الناس ينظرون إليه كأعجوبةٍ؛ يحسبونه من الجماعات السلفية الداعمة للإخوان، وأكَّد لمذهبهم بالإضافة إلى اللحية الكبيرة؛ زوجته المنتقبة التي تسير إلى جواره، فاعتصم بالثبات؛ وابتسم لكل

من نظر إليه متشككًا؛ فأمس الأول في ميدان رابعة؛ وسط القاهرة؛ في استعراضٌ للقوة من التيارات الإسلامية الداعمة للرئيس "مرسي" في مليونية (لا للعنف) كان التكفير صريحًا من شيوخ الجماعة الإسلامية لكل من يخرج على الشرعية.. أخرجوا صكوكًا للجنة والنار وزعوها: الحاضر معنا له الجنة، والغائب الذي ينوي الخروج في ٣٠ يونيو له النار؛ ومن على المنصة التي نصبوها لنبذ العنف جاءت كلماتهم تقطر دَمًا، وكست الوجوه فظاظة، ونطقت الحلوق بالثبور، وعظائم الأمور؛ وأعلن "عاصم عبد المجيد" الذي نكص على عقبيه في إحدى البرامج التي شاهدها مجاهد أخيرًا " أنه لم يعتذر عن قتل أفراد الشرطة في أسيوط عام١٩٨١ م، وأعلن البيعة لمحمد مرسي، وأعاد التذكير بمقولة الرُّعب الشهيرة للوالي الأموي "الحجاج بن يوسف": أرى رؤوسًا قد أينعت وَحانَ قطافها؛ وجأر بحديثٍ ضعَّفه أحمد، وغيره: "إنما بعثت بالسيف".. وانبرى عقبه " عبود الزمر" المحكوم عليهم في قضية قتل السادات بأعلى صوته، يشير بأصبعه، متوعدًا من يخرج في ٣٠ يونيو:

- إنكم ستسحقون بالضربة القاضية؛ وتَبِعَهما صفوت حجازي يهدد:
- من يَرُشُّ مرسي بالماء نرُشّهُ بالدمّ.. كان التهديد بالقتل؛ وبحور الدم، والسيارات المفخخة، في حالة سقوط مرسي من النابذين للعنف المنقولين إلى ميدان رابعة في أتوبيسات للنقل العام والجماعي من سائر المحافظات.

واستعرض بعضهم لمهارات قتالية أمام الكاميرات في إشارة ضمنية إلى استعدادهم لخوض حرب. وحمل آخرون لافتات التقبيح لأبرز المعارضين وللإعلاميين.. ودَعَوْا عليهم بمرض " إرييل شارون" ذلك؛ وغيره.

كان ما دعا مجاهد للنزول إلى الميدان تعضيدًا لهؤلاء المسالمين النازلين الميدان في ٣٠ يونيو. مضى وزوجه يستمعان إلى الهتاف بسقوط دولة المرشد؛ والإخوان عملاء الأمريكان، ونظر في دهشةٍ إلى صورةٍ كبيرة لوجهيْ مرسي، وأوبا ما وعلامة X الشاطبة للوجهين؛ فابتسم لشجاعة الناس، وطرحهم التهديد الذي أُطلق في مليونية؛ لا للعنف؛ وبتَمَهُّلٍ يرى إلى التجمعات، ويستمع إلى الهتاف الجريء الرافض لـ مرسي، والإخوان، والأمريكان.. وابتسم لزوجته ومشى في رصانةٍ يتفحص المشهد حتى صاح به شخصٌ مُتَهِمًا:

- يا سلفي؛ جئت عينًا للإخوان ؟!.. فأشار له بالسبابة والوسطى علامة النصر، وابتسم في ثقةٍ، واستمر يتقدَّم في سلامةِ صدرٍ؛ وكان قد أعد نفسه لمثل هذا الظرف؛ فانطلق في إثره شخص آخر يستيقن لتلك الإشارة حتى أدركه:

- صحيح يا شيخ جئت عونًا لنا؟!

- نعم، وأنا، وأهلي جميعًا؛ وقَّعنا استمارتيّ تمرد، وصحَّح له:

- ليس السلفيون طبقةً واحدة، أنا ضد هذه الجماعة الكذوب وأذنابها.. فدعا له الشخص في شدة تأثّرٍ:

- الله يشرح صدرك يا شيخ؟ وصاح للآخرين:

- الشيخ جاء عونًا لنا؛ وقال يشكو حزنه إليه:

- يا شيخ هم يكفروننا! ونحن والله، معظِّمون للإسلام؛ فليعلم هؤلاء الآن من خلال فضيلتكم أنَّا لسنا بكافرين، يا شيخُ؛ القصة كلها سياسة؛ أهلًا ومرحبًا بك في الميدان..

ولأنه يخجل التَّصدر للشهرة؛ وقف في مؤخرة قيادة هاتفة، اتخذت البسطة العليا لسلم البنك الأهلي، خلف مبنى المحافظة منصة؛ بعد أن نصح لزوجته بمكانٍ بعيدٍ آمنٍ خلَّفها به، وكلما انتبه لوجوده شخص ورنا إليه في شكٍ:

- ما بال ذو اللحية هذا بيننا؟!

اسْتخْرج يده من جيبه ليشير له بالسبابة والوسطى إشارة النصر، وإن كان جارًا له بادره بقولة:

- تلك جماعة بلا كفاءة؛ لا همَّ لهم بمصر الدولة؛ هَمُهم الجماعة، ومرسي يعمل بما يأتيه من مكتب الإرشاد؛ فيحيط الناس به؛ ينصتون إليه سعداء؛ إلى أن طلب إليه شخص الصعود للمنصة للحديث؛ وذهب يرتب له. فشمله

الخجل الشديد والقلق معًا، وهمَّ يؤلف ما يقوله خطابًا؛ فخطر له تحذير جماعة أنصار السنة من الحديث في السياسة، والتحزب إلى فئة؟ وأنهم جماعة دعوية؛ دعوتها توَجه للناس كافة؛ وأنه بظهوره هذا يفتح عليه بابًا شديدًا لعداوة الإخوان، وعقابًا من جماعة أنصار السنة برفعه من الجدول؛ فذهب إلى الزوجة يطمئن عليها أولًا، ويعْلِمْها بصعوده الداعم للمِنَصَّة.. ولمّا رجع لم يرجع الشخص إليه؟ أو رجع فلم يجده؟ فاكتفى بالثبات مكانه لعله يرجع؛ وأخذ يقوّي قلبه:

- لا تجْبُن خوفًا من الإخوان، ولا خشية الرفع من الجدول؛ حديثك ينبغي أن يكون قصدًا، عدلًا، رصينًا، جامعًا للنصح.. وواسى لنفسه؛ الحَذَرُ لا يمنع القدر، والمرء لا يزال في جهادٍ وصبرٍ ما دام حيًّا وقرأه " أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمَّا يعْلَمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين".. يثبّتُ بها فؤاده؛ حتى سُمِعَ أذان المغرب من المساجد القريبة؛ فكَفَّ المتظاهرون عن الهتاف احترامًا للأذان، وقام أحدهم برفع الأذان من الميدان؛ ثمَّ تلفت الناس لا يدرون ما يصنعون، هنا وجد له دورًا، ندبهم لصلاة الجماعة في الميدان، فيكون تأكيدًا على حرصهم على دينهم، ودرء أنهم فسقة، وناداهم بالاصطفاف، وَبَيَّنَ:

- لا يلزم خلع النّعال؛ تصح الصلاة به، فقط، تراصوا، واتجهوا إلى القبلة، وابسطوا الأعلام التي بأيديكم على الأرض لتضعوا عليها الجبهة، والأنف حال السجود؛ ونظر حوله يبحث عن شيءٍ يفرشه للإمام؛ فوجد قماشه كبيرة

فوق إحدى السيارات التي تبيع علم مصر، وصورًا لـ وزير الدفاع" السيسي "، وعبد الناصر، والسادات؛ فاستأذن صاحبها، وحمل القماشة فبسطها لمقام الإمام؛ وكان قد أمر زوجته:

- اذهبي إلى المسجد فصلِ؟ سأصل في الميدان معهم.. وتأخَّر ليدخل الصف، وابتهل في نفسه ألا يخرج دَعِيٌّ من طلاب الإمامة لا يحسن الصلاة فيفسدها عليهم٠ وإذا بأحدهم يناديه:

- صلّ بنا يا شيخ.. فَخَشَعَ قلبه للاستجابة السريعة؛ فتقدَّم؛ فلم يكثر من الإرشادات خشية الهرج؛ وكبَّرَ.. ولمّا فرغ من الصلاة، مشى إلى الزوجة ليأتي بها من المسجد؛ ويجدد وُضُوءه.. واستشارها في العودة إلى السيارة؛ والرجوع إلى البيت؟ فقد اطمأنَّا لنزول الناس الميدان بكثافة؟! وحثها:

- نرجع لنشاهد باقي المحافظات من التلفاز، حققنا الواجب، فأنا أكره الزحام ؟.. فرجته البقاء حتى أذان العشاء فينصرفا لها؛ فأطاع مُرغمًا!.

فشرعت كلما رأت مشهدًا مُحْدَثًا تنظر إليه؛ تبرق عيناها من السرور، وظل هو يفكر في الإخوان الذين يتخبطون؛ لا يتعامل شيوخ مكتب الإرشاد؛ على رأي إبراهيم عيسى؛ مع الحقائق على الأرض؛ إنما هو العِيشَ في الماضي؛ والفكر بالأماني والأوهام؟ أضف إلى ذلك توسيد الأمر إلى غير أهله، وغياب الخبرة والكفاءة، ثُمّ الوسائل الغير أخلاقية التي استخدموها للوصول للسلطة؟ ثُمّ إشراف مصر على الهاوية، فليلة السبتً الماضي؛ أحد يومي العطلة؛

ضاع عليه قيام الليل، فقام قيامًا غير كافٍ؛ فجلس في المسجد لإنجاز باقي ورده بعد ما صلى بالناس الفجر، وجلس معه صاحب له ليقرأ عليه، فلحظا شخصًا غريبًا في ركن المسجد لم ينصرف؛ فلمّا أنجز ورده، وأراد أن ينصرف، توجه إلى الشخص؛ فاعْتذرا له؛ لأنه يتوجب عليهما أن يغلقا المسجد صيانة له من الأشقياء الذين لا يتورعون عن سرقة أحذية المصلين، فاستجاب الشخص في كياسةٍ:

- سأترك المكان.. وتحدَّث أنه عابرُ سبيلٍ؛ من القاهرة؛ تعطلت سيارته لنفاد الوقود، فبحث في محطات الوقود في كل أرجاء المنصورة، وجوارها عن أي نوعٍ من أنواع البنزين فلم يجد، وقال:

- عِنْدنا في القاهرة أزمة، لكن ليست بهذه الحدة، وأخبر أن سعر صفيحة بنزين ٩٢ في السوق السوداء الذي عُرضَ عليه هنا ٢٠٠ جنيه فسلك بسيارته طابور بنزينه الوطنية؛ محطة وقود تابعة للجيش جوار الكوبري، قريبة من المسجد؛ وقال:

- فكرت بعد صلاة الفجر أن أظل في المسجد للراحة، فأنا الآن في المقدمة، وقالوا لنا أن شحنة البنزين الجديدة تصل المحطة التاسعة صباحًا؛ فأكون أنا أول المُمَوَّنِين، وأستأنف سيري إلى بالقاهرة، بعد انقطاع يومين عن المنزل.. وكان من الحل الناجز للرئيس أن جعل خطبة ودودًا؛ تأسّى فيها؛ لأمثال هؤلاء الصافّين طوابير لا يُعرف لهم آخرٍ، بعضهم اتخذ من سيارته مرقدًا ينام فيه، والبعضُ خَلَّفَها، والطابور، ورجع البيت يستريح؛ فمن ذا الذي يفكر

في سرقة سيارة ليس بها وقود؛ في أزمةٍ طاحنةٍ كتلك؟! والبعض تناوب مع جار الطابور الحراسة؛ وترك له المفتاح، وغادر، وقد تَعَرَّف عليه، على أن يعود فيناوبه حتى يجيء الفرج. إلى كل هؤلاء بعث الرئيس مرسي هذه الرسالة:

" قلبي معكم جميعا أيها الشرفاء؛ وددت مخلصًا من قلبي، ويسعدني جدًا، أن أَنْزِلَ، فألزم الطابور معكم أحبائي، فأخفف عنكم؛ أنا أعلم أن هناك أصابع تلعب في هذا البلد، لا يغرنَّ هؤلاء حلمي؛ ولا يعتقدون، ولا تسول لهؤلاء أنفسهم؛ أذناب النظام البائد، أني لأعلمهم؛ أراقب هؤلاء، وأقول لهم احذروا؟ سأقطع كل أصبع تحاول أن تعبث بمقدرات هذا البلد، من الداخل أو من الخارج".

فقال لزوجته وهما يسمعان هذا الهزل:

- يعني أن مبارك يدير حملةً ضده من داخل السجن؛ فإن كان ذلك كذلك، فإن موقعه وراء القضبان، وموقع مبارك المستحق خارجه!.

كان منظر سائقي ميكروباصات الأجرة، والعربات ربع النقل، التي تسير معلقة لجراكنٍ فارغة، - يرتطم بعضها ببعضٍ في الهواء، سوداء من أثر تخزين السولار- يتحينون أثناء سيرهم فرصة تأتيهم، بمحطة وقود جاءتها شحنة مفاجئة فيؤوبون سعداء بالسولار.

أما سيارات النقل الثقيل، فكانت تخنق الطرقات؛ تبت للسولار باصطفافها الدائم عند كل بنزينه. وتطاحن عند كل محطة شراذم يملئون جراكن يتاجرون فيها؛ وأَرْهَبَ هؤلاء التعساء من المسجلين خطرًا المواطنين بعدم اصطفافهم في الصف؛ فخاطر بنفسه، غير مرة، يمنعهم، إلا في دورهم، فكان يقع بينهم وبينه هذا الحوار:

- خربتموها؛ روح يا شيخ ربنا ينتقم منكم جميعًا ؟.. يحسبونه سلفيًّا من اللاعبين سياسة؛ فلا يترك الأمر يمر؛ بل يفاجئ الجميع:

- خربوها؟ نعم، وأقول لك، لا تنتخبهم للبرلمان القادم؛ لا الإخوان، ولا حزب النّور؟ لكن الْتَزِمِ الصف؟

- إذًا فمن أنت ؟!.. يسألونه هويته كذلك.

- أنا مواطن أحترم النظام، وألتزم الصف؛ أمَّا هؤلاء فهم أسوأ من الحزب الوطني، فشلة، اختر للشأن العام ذا الكفاءة؟ فيسَّرون لعدله؛ وترشقه نظرات الوقار، وينتظم الصف، بل سبح ضد هذا التيار ليخفف من خطره، وإحداث التوازن؛ فيتعمد عدم الحفاوة؛ أو يَرْمُق في صرامة شخص من يلقاه؛ فإن فَاجأه من يعرفه ابتسم له وحَيّاه.

كان يعتبر هذا عملًا صالحًا؛ حتى لا يُوَسَّد الأمر إلى غير أهله؛ أو تستأسد طائفة وحدها بالسلطة؛ متخذًا من قوله تعالى" ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"... وكان من تمام رؤيته في الإخوان،

بالإضافة إلى انعدام الخبرة، جرأتهم على الدولة، والنظام العام؛ وقد قعت السلطة في أيديهم - على رأي هيكل - بعد تربصٍ دام أكثر من ثمانين عامًا فجأة؛ فلم يعتبروها فِتْنةً؛ بل استحقاقًا.

ومن الوسائل الغير أخلاقية التي أعدها شيوخ مكتب الإرشاد للتعامل مع مظاهرات ٣٠ يونيو، غير العيش في الماضي، والتفكر بالأوهام.. أن ٣٠ يونيو سيكون يومًا عاديًّا؛ يَمُرُّ؛ ككل الأيام التي نظم فيها شباب الثورة، والمعارضة المظاهرات الكثيرة، والمسيرات التي ضمت عشرات الآلاف؛ فبقيت السلطة في أيديهم؛ وأن الملايين لن تخرج على مرسي، ولن يحدث ما حدث في ١١ فبراير ٢٠١١ م٠٠وتخويفًا للمواطنين لمنعهم من المشاركة في٣٠ يونيو، نشطوا في إطلاق الشائعات؛ أن المظاهرات ستؤدي إلى العنف؛ وحروب شوارع؛ بين الفلول، وشباب القوى الإسلامية، التي ستدافع عن الاتحادية، ومنشآت الدولة ضد محاولات التخريب، وتهديدات جماعات السلفية الجهادية لشباب الثورة بالسحق؛ والقتل؛ إذا حاولوا الاعتصام أمام قصر الرئاسة، وفتوى أن المظاهرات في ٣٠ يونيو خروج على الحاكم، وتكفير المشاركين فيها، ثُمَّ الاستقواء بواشُنطن؛ وتأكيد السفيرة الأمريكية احترام بلادها لنتائج الصندوق؛ وبالتالي؛ شرعية مرسي، ومنحه مزيدًا من الوقت؛ لأن سنة واحدة لا تكفي، ورفض تدخل الجيش في السياسة، ما يعني؛ تحذير المعارضة من خيار التغيير الثوري، أو الانقلاب العسكري، وتغيير موقف الرئاسة من الأزمة السورية؛ وإعلان الرئيس مرسي دخول مصر كلاعبٌ رئيس في تنفيذ الرؤية الأمريكية للصراع في المنطقة بين السنَّة

والشيعة، ثم الربط الزائف بين استمرار مرسي في الحكم، والاستقرار، والمشروع الإسلامي، وتطبيق الشريعة؛ ناسين أن مرسي نشر الانقسام والفوضى في المجتمع؛ ولم يسعَ خلال عامٍ كامل لتطبيق الشريعة؛ بل زاد الضرائب على الخمر ضعفين، ووَهْمَ مشروعِ النَّهضة، وأخيرًا؛ الاستعراض بحشود إخوانية في الصالة المغطاة، ثم في ميداني رابعة والنهضة، بما عرف بمليونية " لا للعنف" حشد لها الإخوان جماعة السلفية الجهادية من كل المحافظات؛ فاطمأن إلى رأيه بالخروج في ٣٠ يونيو؛ وأنه لم يحف، وكان من فشل الرئيس، وحكومته، وجماعة الإخوان في إدارة شئون البلاد ارتفاعُ حِدَّةِ انقطاع التيار الكهربائي، الذي أصبح لا يعرف له أمدٌ، ولا توقيتٌ، وارتفعت للسماء أثمان الكشافات الكهربائية، والمولدات! وفي جميع الأماكن ظهرت عند الانقطاع المتكرر والمفاجئ للكهرباء، ليلًا ونهارًا دعوات، وأصبح الرئيس مادتها للتفكه: الله يخرب بيتك يا مرسي.. ؟؟ فيصيح الخلية النائمة؛ مخيول:

- يا إخوانا؟ ما للرئيس وانقطاع الكهرباء؛ هل يقوم على رأس كل موظف في الدولة العميقة ؟!٠ فلا يُلْتَفَتْ لصياحه.. وتحكي الزميلات في الإدارة:

- الأكل فسد في الثلاجة.. المشكلة أننا لم نَعدْ نعرف لانقطاعها نظامًا، ولا توقيتًا حتى نُعمِلَ حسابنا! فتجيبها أخرى:

- سمعت أن الأجهزة الكهربائية في مكان كذا كلها تلفت من الانقطاع المفاجئ؛ والمجيء المفاجئ المنخفض للتيار؛ وأنهم يُقيمون دعاوي

قضـائية ضـد الدولـة يطالبونهـا بـالتعويض لأجهـزتهم والأطعمـة التـي فسدت.. فتؤازرهما ثالثة متشاكية:

- ومن يعوضنا من النكد؟! في عز مسلسل؛ حريم السلطان؛ يأتيك فجأة انقطاع التيار؟!.. وتتندر على الرئيس.. مشروع النهضة لمرسي؛ النوم المبكر؛ ومنع مشاهدة مسلسل حريم السلطان؛ ليفتح المجال لسماع خطبه؛ القرد والقرداتي؛ والحارة المزنوقة؛ والسَّحالي والثعابين..أنا شايف بعض أصابع تلعب في مكانٍ ما؛ يظنون أني لا أراهم. لا؛ أنا صاحي. يا أختي؛ لا تفهمي منه شيئًا؟! الشعب هذا مبتلى.. واحد ظل ثلاثين سنة صامت كـأبي الهـول؛ والثـاني جـاءك بإسـهال كـلام؛ لا تفهمـي منـه شـيئًا.. فاستوقفهنَّ:

- تنزلين في ٣٠ يونيو يا مدام ماجدة؟

- أكيد نازلة يا شيخ..

- ومدام سوزان؟ وأنتِ يا مدام أمينة، أتنزلان في ٣٠/ ٦؟ وهذه منتقبة؟!؛ فضحكت تعتذر لانشقاق الصَّف الأسري:

- الزوج مؤيد للإخوان، أمّا أنا سأنزل، والأولاد حتى نرتاح من الإخوان؛ كما ارتحنا من مبارك.. فاستفز مخيول من هذا الإجماع:

- يا اخوانَّا٦/٣٠ ما هي إلا دعوة لعودة الفلول والبلطجية.

- هؤلاء بلطجية؟ هؤلاء فلول؟ إن لم تَسْتَح فافعل ما شئت.

- أعترض على الشتم يا مولانا، نحن نتناقش؛ وأنا صاحب رأي.. كيف يكون الرئيس مسئولًا عن انقطاع التيار! كل موظفٍ يجب أن يقوم بعمله؟.. يا مولانا هذه هي الدولة العميقة التي أفسدها مبارك، وأجهزة الدولة، جميعها تتآمر جاهدة لإفشال المشروع الإسلامي.. فلم يستطع أمام هذا الكذب المتعمد إلا أن يعود فيحتد عليه:

- تعني مشروع الكذب الإخواني؛ النهضة؟! اسمعْ ما قاله وزير الاتصالات السابق، قال:

- نحن ماشيين بالبركة! والأوضاع الاقتصادية الحالية في مصر قد تنتهي بتقسيم البلاد! النظام لم ينفذ أيًّا من وعوده؛ ونحتاج لشخصية اقتصادية قوية لرئاسة الحكومة، ويستحيل تكرار قطع الاتصالات أثناء مظاهرات ٣٠ يونيو مثل ما حدث في جمعة الغضب في ٢٥ يناير، الأوضاع الحالية أكثر خطورة مما كانت عليه في النظام السابق؛ والحكومة كان يمكنها وقف العنف أمام الاتحادية لكنها لم تفعل.. فاتهم مخيول الوزيرَ:

- يا مولانا؟ الوزير يتقوَّل لأنه أقيل في التعديل الوزاري الذي أجراه الدكتور مرسي.

- أنت تكذب؛ لأنك تعلم أن مرسي لا يعيّن ولا يُقيل؛ الأمر كله لمكتب الإرشاد، وخيرت الشاطر.. واستطرد يقرأ عليه:

- اسْمعْ ما قال وزير الآثار السابق في حوارٍ له:

- أنا نازل يوم٣٠ يونيو؛ ولا بد من وضع نهاية لتلك المهاترات التي تمر بها البلاد؛ ولمَّا سُئلَ عن كواليس إقالته من الوزارة قال:

- أنا شخصيًّا الذي طلبت في أكثر من مناسبة إعفائي من استكمال العمل بالوزارة، وعندما قبلت المهمة في حكومة الدكتور.. قنديل قلت أني قبلت لأن لمصر حقٌّ علينا؛ إلا أن الظروف التي عملت فيها كانت غاية في الصعوبة؛ بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى حد المستحيل، لأن وضعنا في قطاعيْ الآثار، والسياحة كارثي بالنظر إلى الموارد المالية المطلوبة منك شهريًا لتوريدها للعاملين بالآثار؛ وهي ٥٥ مليون جنيه في حين أن الدخل لا يتجاوز ٢١ مليون جنيهٍ؛ وعليه فقد وقعت في مأزقٍ ما بين عدم القدرة على الإيفاء بالمتطلبات المالية؛ وبين الأزمة المعروفة في المواقع الأثرية.. وقتها لو كنت أخطأت لعُلقت لي المشانق؛ لذلك طلبت الرحيل أكثر مرة، وحين أبلغني الدكتور هشام قنديل بالرحيل قلت له نصًّا:

- أرجوكم توفير الإمكانيات، ومناخًا جديدًت للوزير الجديد.

- طالبت سابقًا بضرورة الفصل بين السياسة، والمسئولين عن قطاع الآثار إلا أن الوزير الجديد ينتمي سياسيًّا لحزب الوسط المعروف بتأييده لسياسات النظام الحالي.

- فهل تشعر بخطورة مستقبلية على الآثار؟

- السياسة فيها تنازلات، لكن العمل الحكومي لا يوجد فيه تنازلات، والقانون وحده هو الذي يحكم عمل الوزير، وأرى أن واجب وزير الآثار الحفاظ على الثروة الأثرية لمصر.

- هل كان الدكتور/ قنديل مهتمًّا بحقيبة الآثار داخل اجتماعات مجلس الوزراء، أو أنها كانت خارج أولوياته؟!

- لم تكن الوزارة ضمن اهتماماته الأساسية على الإطلاق؛ لكن للأمانة رئيس الحكومة كان يشاركني في افتتاح المواقع الأثرية، فضلًا عن زيارته في مناسبتين لمنطقة الأهرامات، واهتمامات رئيس الوزراء بالآثار كانت في أوقاته المتاحة.

- قطاع الآثار بالاشتراك مع السياحة من أبرز موارد الدخل القومي حيث يُدِرَّان ما يقرب من ١٤ مليار جنيه سنويٍّ، هل طبقت الحكومة الوعود الانتخابية التي جاءت في مشروع النهضة عن قطاع الآثار؟

- أما الوعود التي قال رئيس الجمهورية أنه سينفذها في ال ١٠٠ يوم الأولى من حكمه، فلم تتضمن أي شيءٌ عن الآثار والسياحة، وركزت فقط على الأمن، المرور، النظافة؛ وأؤكد أن برنامج الوزارة لم يكن يتضمن أي شيء يتعلق بمشروع النهضة.

- في الأيام الماضية ظهر خطاب يحمل توقيعك بشأن الموافقة على إعارة ٢٨٠ قطعة أثرية إلى دولة قطر لعرضها ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي القطري؛ على أن تسلم تلك القطع للمهندس خيرت الشاطر نائب مرشد تنظيم الإخوان؟

- الخطاب مزور تمامًا؛ لأن التوقيع الموجود عليه مختلف عن توقيعي على الخطابات الرسمية.

ثانيا: ً الآثار ليست ملكي، وإنما ملك الدولة؛ وتواصلت مع الشخص الموجَّه إليه الخطاب، ونفى صلته بالأمر من الأساس؛ وحينما تطلب دولة بعينها استعارة قطع أثرية، لا بد أن يكون هناك خطاب رسمي بموافقة الحكومة.

- وماذا عن الأزمة الشهيرة في فبراير الماضي بخصوص المقترح الذي قُدِمَّ إلى وزارة المالية لتأجير بعض الأماكن الأثرية ٥ سنوات مقابل ٢٠٠ مليار دولار، ويتردد أن المجلس الأعلى للآثار كان يدير الاتفاق بالتعاون مع وزارة المالية، وكان موافقًا على التأجير؛ وأراد توريطك كوزير؟

- الخطاب خرج من مكتب وزير المالية، وعرضته على المجلس الأعلى للآثار بتاريخ ٢٣ فبراير ٢٠١٢ فتم رفضه لعدم وجود أسباب قانونية

وسياسية؛ فالرقم المعروض لتأجير المواقع الأثرية أقرب إلى الخيال، وعلى أساسه تم رفض الأمر برمته.

- الفتاوى المتطرفة التي خرجت بين الحين والآخر، أثناء توليك الوزارة بوجوب تحطيم الآثار، وتغطية وجوه التماثيل، هل أثرت على نسبة الزائرين من الوفود الأجنبية، أو تسببت في الإساءة إلى السمعة المصرية على مستوى البعثات الأجنبية؟

- وقت أن خرجت تلك الفتاوى قلت: سأقطع يد أي شخص يحاول تحطيم، أو تغطية الآثار؛ فأنا رجل أصنف على أني أحافظ على شعائري الدينية.

- كيف رأيت قرار تعيين القيادي بالجماعة الإسلامية، محافظًا للأقصر، وهو ينتمي إلى جماعة متورطة في مذبحة السُّيَّاح بالدير البحري ٩٧ م؟

- القرار بالتأكيد سلبي؛ فتلك المنطقة تحديدًا تحتاج إلى شخصٍ متفهمٍ طبيعة أوضاعها، والعاملين في قطاع الآثار وأهلها، وأعتقد أن الآثار السلبية سَتُحد من أعداد الأفواج السياحية القادمة للأقصر.

- هل تسبب قرار الحكومة بفتح الباب للسياحة الإيرانية في أي متاعب لك قبل خروجك من الوزارة خصوصًا أن هناك تهديدات صدرت من التيار السلفي بمطاردة السائحين الإيرانيين داخل المتاحف والمواقع الأثرية؛ ومنعهم بالقوة من زيارتها؟

- السياحة الإيرانية مادامت وصلت إلى مصر، فلها الحرية في زيارة المواقع الأثرية؛ مع تأكيد أنني لم أسمح وقتها باستغلال المواقع الأثرية في أي مناسبات سياسية.

- هل الدكتور قنديل كان سببًا في الاقتطاع من ميزانية الوزارة بنسبة ٢٠ ٠/٠ ؟.. فتحدث الوزير السابق بأريحية؛ فظهر أن رئيس الوزراء كان فعلًا يضعه مكتب الإرشاد والشاطر مع الرئيس حيث يراد لهما:

- للأمانة ليس هو؛ لكنه قرار جمهوري بسبب الأزمة الاقتصادية، جعلتهم- يعني مكتب الإرشاد وخيرت الشاطر؛ ولم يشر للرئيس -، يقتطعون من الميزانية لتعويض عجز الموازنة، ولكن الآثار حاليًا تدفع الثمن.

- هل ستشارك في تظاهرات ٣٠ يونيو الجاري؟

- بالتأكيد؛ لا شك أني نازل في ٣٠ يونيو؛ ولابد من وضع نهاية لتلك المهاترات التي تمر بها البلاد؛ ويعيشها المواطنون.

- وهل وقعت على استمارة تمرد؟

- أنا لم أقابل أحدًا من أعضاء الحملة، كي أوقع، أو أرفض التوقيع.

- إذن أنت تؤيد إجراء انتخابات رئاسية مبكرة؟

- دستوريًّا الأمر لا يجوز؛ لكن علينا مساعدة السَّاسة على إيجاد حل وسط للأزمة، لأن الأمر إذا لم ينصلح فمصر في طريقها إلى الانهيار.

* * *